طبيعةُ الإيمان وعقلانيّته[1]

ليز جاكسون[2]

١. مُقدِّمة

هل يُمكن أن يكون الإيمان عقلانيًّا؟ يُجيب الملحدون الجدد على هذا السؤال بصوتٍ واحد: كلا. يُصرِّحُ سام هاريس[3] أنّ «الإيمان الدينيّ هو، ببساطة، اعتقادٌ غير مُبرَّر بأمورٍ تحظى بالهمّ الأقصى»[4] (تفخيم الحروف عائدٌ إلى هاريس). يُوافق ريتشـارد دوكينز ويقول: «بيتُ القصيد في الإيمان الديني، قوّته ومجدُه الرئيسي، هو أنّه لا يعتمدُ على التبرير العقلاني»[5]. أدلى آخرون من أمثال هيتشـنز ودينيت بتصريحاتٍ مُماثلة[6]. يبدو أنّ الإجماع في أوسـاط الملحدين الجدد يُفيدُ أنّ الإيمان لا يُمكن قطّ أن يكون عقلانيًا.

سوف أتناولُ في هذا الفصل عقلانية الإيمان على ضوء هذه الشكوى[7]. يبدو أنّ الادّعاء الرئيسي في الإلحاد الجديـد يتمثّلُ في أنّ الإيمان –وخصوصًا الإيمان

1. Jackson, Liz. “The Nature and Rationality of Faith.” In A New Theist Response to the New Atheists, edited by Kevin Vallier & Joshua Rasmussen. New York: Routledge, 2019.

٢. أستاذة مشاركة في قسم الفلسفة في جامعة سانت لويس (Saint Louis University)

3. Samuel Harris

4. Harris, The End of Faith: Religion, Terror, and the Future of Reason, 65.

5. Dawkins, The God Delusion, 23.

6. Hitchens, God Is Not Great: How Religion Poisons Everything, 137; Harris, Letter to a Christian Nation, 22; Dennett, “How Religion Offers an Excuse to Stop Thinking”.

٧. للاطّلاع على ردٍّ آخر على الملحدين الجدد حول الإيمان، راجع:

Kvanvig, “Affective Theism and People of Faith”.

بالله- هو غير عقلاني. ولكن ما هو الإيمان؟ لماذا يُعتقد أنّه يجعل أغلب المؤمنين بالإله غير عقلانيين؟ هذه هي الأسئلة التي سوف أستكشفها. سوف أفحصُ في القسم الأول من هذا الفصل ما يقوله الملحدون الجدد عن الإيمان، وسوف أحتجّ أنّه -بناءً على عددٍ من السِّمات المتعلّقة بطبيعة الإيمان- إمّا أنّ الإيمان ليسَ غير عقلاني أو إنّ أغلب المؤمنين بالله لا يملكون الإيمان. أمّا في القسم الثاني من هذا الفصل، فإنّني سوف أقدّمُ بياني الخاص حول طبيعة الإيمان الذي يُمكن أن يُوظَّف في تعزيز الحوار البنّاء بين الملحدين والمؤمنين.

٢. ملاحظاتٌ أوليّة

قبل تقديم حجّتي الرئيسية، ينبغي أن أطرح بعضَ الملاحظات الأولية. أولًا: ما هو نوع العقلانية الذي يقصده الملحدون الجدد حينما يدّعون أنّ الإيمان غير عقلاني؟ لقد ميّزَ الفلاسفة بين العديد من أنواع العقلانية[1]، ولكن تُشيرُ لي مؤلّفاتُ الإلحاد الجديد إلى أنّها تعتبرُ الإيمان مُفتقدًا للعقلانية المعرفية. العقلانية المعرفية هي نوع العقلانية الذي يتّصلُ بالاعتقاد المبرَّر والمعرفة. يملكُ الاعتقادُ العقلاني معرفيًا خصائص مُعيّنة كتأسُّسه على الدليل، وتشكُّله على نحوٍ موثوق، وكونه مُرشّحًا للمعرفة، ووقوعه نتيجةً لعملية تحقيقٍ قابلة للاعتماد. الأمثلة النموذجية عن المعتقدات غير العقلانية معرفيًا هي المعتقدات المبنيّة على التمنّي أو التعميمات العجولة أو المعتقدات المتشكِّلة كنتيجةٍ للارتباط العاطفيّ[2].

سوف أُركِّزُ في هذا الفصل على العقلانية المعرفية، وسوف أحتجّ أنّه -في كثيرٍ من الحالات- الإيمان ليس غير عقلاني معرفيًا. ولكن لاحِظ أنّه حتّى لو

1. Cohen, "Rationality", 663; Plantinga, Warrant: The Current Debate, 132-137.

٢. أستخدمُ في هذا الفصل كلمتيّ «معقول» و«مُبرَّر» بشكلٍ متبادل.

فشِل إيمانُ الإنسان في أن يرتفع إلى مستوى أن يكون عقلانيًا معرفيًا، لن يترتّب عــلى ذلك أن يكون الإيمان غيرَ عقلاني بــأيّ معنى من المعاني، وذلك لأنّه حتّى لو كان إيمانُ الإنســان مُختلًا معرفيًا، إلا أنّه رغــم ذلك قد يكونُ عقلانيًا عمليًا. تتّصلُ العقلانيــة العملية، على خلاف العقلانية المعرفيــة، بأهداف الفاعل وما يقع على المحكّ بالنســبة لذلك الفاعل، وتنطبق بشكلٍ أعمّ على الأفعال وليس على الحالات الذهنية. في هذه الحالة، يتمّ تقييم اتّسام الأفعال الإيمانية بالعقلانية مــن وجهة نظرٍ عملية. قد يكون عقلانيًّا بالنســبة لي أن أؤدّي فعلًا إيمانيًا مُحددًا لأنّني سوف أكتسبُ الكثير إذا كان صادقًا وأخسر القليل إذا كان باطلًا. يُمكن أن يكــون هذا عقلانيًّا حتّى لو كان الاعتقاد بالافتراض المصحوب غيرَ عقلانيّ بسبب نقصٍ في الدليل على سبيل المثال[1].

عمومًا، قد يكون من العقلانيّ أن نتصرّف إذا كان شيئًا ما صحيحًا، حتى لو لم نمتلك عددًا كبيرًا من الأدلّة على صحّته. على سبيل المثال، افترض أنّك قاضٍ تبتُّ قرارك في المحكمة، والدليل كافٍ كي تُثبت قانونيًا أنّ المشتبه به قد ارتكب الجرم «من دون أيّ شــكٍ معقول». ولكن افترض أنّك تملكُ دليلًا آخر على أنّ المشــتبه به بريء، ولكنّ طبيعة الدليل شخصية بحيث لا يُمكن توظيف الدليل شرعيًــا في المحكمة القانونية. قد لا تكون مــبرَّرًا في الاعتقاد بأنّه مُذنب، ولكن لأسبابٍ قانونية يجب أن تتصرّف وكأنّه مُذنب وأن تُصدِر حُكمَ الإدانة[2]. تأمّل

1. Audi, Rationality and Religious Commitment.

يُميّز القســم الثاني من هذا المصدر بين الإيمان القضوي –أو الإيــمان بأن قضيةً ما هي صحيحة– وبين الإيمان الاختياري الذي هو شبيهٌ بالفعل على نحوٍ أكبر بكثير. حتّى لو أنّ النقص في الدليل يجعلُ الإيمان القضوي غير عقلاني، يُمكن للإنسان رغم ذلك أن يكون عقلانيا في امتلاك الإيمان الإراديّ وأداء أفعالٍ إيمانية مُحدّدة.

2. Cohen, “Why Acceptance That P Does Not Entail Belief That P”.

في مثـالٍ آخر. افـترِض أنّك قد ذهبت إلى بُحيرةٍ مُتجمِّـدة مع أطفالك الصغار وأرادوا أن يلعبوا على الجليد. قد تعتقد عقلانيًا أنّ الجليد سميكٌ وأنّه آمنٌ تمامًا ولكنّك رغم ذلك ترفضُ أن تسمحَ لأطفالك باللعب عليه، وتتعاملُ معه وكأنّه سـوف ينكسر، ويعودُ ذلك بسـبب ما يقعُ على المحكّ: سـوف يكونُ مريعًا إن سقطَ أطفالك في الماء.

تمامًا كما أنّ التصرُّف وفقًا لقضيةٍ ما قد يكونُ عقلانيًا حتّى لو لم يكن الاعتقاد به عقلانيًا، فإنّ أداء عملٍ إيمانيٍ ما قد يكونُ عقلانيًا حتّى لو امتلكَ الإنسان قدرًا ضئيلًا من الأدلّة على القضية التي يعملُ بناءً عليها. على سـبيل المثال، قد يكونُ الإنسان عقلانيًا في ممارسـة دينٍ ما، والمشاركة في الصلاة والشعيرة، والانضمام إلى مجتمعٍ روحاني، حتّى لو كان الإيمانُ غير عقلانيّ معرفيًا. العملُ العقلاني هو مسـألة عملية، وقد يكون أحيانًا من العقلاني العمل وكأنّ شـيئًا ما هو صحيح حتّى لو أشـارَ دليلنا إلى الاتّجاه المعاكِس. إنكارُ هذا الأمر يعني إنكار الأسلوب التقليدي والمعتمَد في التفكير بعملية اتّخاذ القرارات بشكلٍ عقلانيّ، ولكن كثيرًا ما يُغفِل الملحدون الجدد هذه النقطة[١]. الدرس العام هو أنّه حتّى لو كان الإيمان غير عقلاني معرفيًا، قد تبقى الأفعال الإيمانية عقلانية عمليًا.

سوف أنتقلُ الآن إلى العقلانية المعرفيّة للإيمان.

٣. عقلانية الإيمان

يؤكِّد الملحدون الجدد على أنّ الإيمان غير عقلانيّ معرفيًا. سـوف أذكرُ أولًا نقطةَ اتّفاقٍ مع الملحدين الجدد: من المهم أنّ نتفادى المواقف غير المبرَّرة معرفيًا. إذا كان الإيمانُ حقًا غير عقلانيّ معرفيًا، فإنّ الملحدين الجدد هم مُحقّون في الإشارة

١. راجع مثلًا: Harris, The End of Faith: Religion, 51-55.

إلى هذا الأمر. استخدامُ العقلانية، واتبّاعُ الدليل، وحيازةُ عقلٍ مُنفتح، وامتلاك الشـجاعة لمواجهة الحقيقة هي جميعًا قيّمة؛ إنّني أُوافق الملحدين الجدد على هذه النقطة وأشيد برغبتهم في اتبّاع الدليل وتفادي اللاعقلانية.

ولكن حينما يتعلّق الأمر بالعقلانيـة المعرفيّة للإيمان، فإنّني أنأى عن تفكير الملحدين الجدد[1]. لكي نرى لماذا، سـوف أبدأ بتوضيح اعتراض الإلحاد الجديد على الإيمان قدر الإمكان. ما هي شـكوى الملحديـن الجدد بالضبط؟ يُمكن أن نُلخّصها كما يلي:

المقدمة (١): كلّ من يملكُ الإيمان (أو الكلّ تقريبًا) هو غير عقلاني معرفيًا.

المقدمة (٢): جميع المؤمنين بالإله يملكون الإيمان.

النتيجة: جميعُ المؤمنين بالإله (أو أغلبهم) هم غير عقلانيّين معرفيًا.

سـوف أحتجُّ في هذا الفصل على أنّه لـكلّ تعريفٍ للإيمان يُقدّمه الملحدون الجدد، إمّا أنّ المقدمة (١) هي باطلة أو المقدمة (٢) هي باطلة. يُتيحُ لنا هذا المنهج أن نُفكّـر في مجموعةٍ ضخمةٍ من التعريفات (المتناقضـة احتمالًا) حول الإيمان. ولكن، على كلّ تعريف، لا تترتّب النتيجة. أو هذا هو الذي سأحتجّ لصالحه.

---

١. لسـببٍ يتعلّق بأهداف هذا الفصل، لن أفـترض أنّ الإيمان بأنّ p يقتضي الاعتقاد بأنّ p. للاطّلاع أكثر على هذا الجدال، راجع المؤلفات التالية:

Alston, “Belief, Acceptance, and Religious Faith”; Howard-Snyder, “Propositional Faith: What It Is and What It Is Not”; McKaughan, “Action-Centered Faith, Doubt, and Rationality”; McKaughan, “On the Value of Faith and Faithfulness”.

رغم ذلك، لا أعتقد أنّ الكثير يعتمد على هذا. أغلب الملحدين الجدد يستخدمون «الإيمان» و«الاعتقاد» بشكلٍ متبادل.

٣- ١) الإيمان كموقفٍ غير مُبرَّر معرفيًا

ينسبُ الملحدون الجدد بشكلٍ مُنتظَم الإيمانَ إلى موقفٍ غير مبرَّر معرفيًا أو غير عقلانيّ. نظرًا إلى هذا الأمر، قد يكونُ الحال هو أنهم ينصّون ببساطةٍ على أنّ «الإيمان» هو مجموعة المواقف غير العقلانية معرفيًا (أو مجموعة ثانوية منها). هذا يُوضِّح مُلاحظاتهم المتكرِّرة التي تنسبُ الإيمانَ بشكلٍ مباشر إلى اللاعقلانية. على سبيل المثال، يُصرِّحُ هاريس أنّ الإيمان الديني هو مجرّد اعتقادٍ غير مُبرَّر[1]، اعتقادٌ لا يملكُ تبريرًا عقلانيًّا[2]، وعذرٌ للاستمرار في الاعتقاد حينما تفشل الأسباب[3]. يُصرِّح دوكينز أنّ الإيمان يفتقدُ للتبرير الموضوعي[4] وأنّ «صلب الموضوع في الإيمان الدينيّ» هو أنّه لا يعتمدُ على التبرير العقلانيّ[5]. هذا يُشيرُ إلى التالي حول الإيمان:

(١) الإيمان هو موقف غير مُبرَّر معرفيًا.

نظرًا إلى هذا التعريف، المقدمة (١) تكونُ صحيحةً بنحوٍ واضح. إذا كان الإيمان -وفقًا للتعريف- مجرّد موقفٍ غير عقلانيّ، فإنّ الذين يملكون الإيمان هم غير عقلانيّين.

القلق الأولى هو أنّ النصّ ببساطةٍ على أنّ الإيمان غير عقلانيّ يُقوِّضُ الأهدافَ الأخرى للإلحاد الجديد. يبدو أنّ أحد المشاريع الرئيسية للملحدين الجدد هو مشروعٌ مضادٌ للدفاعيات الدينية: أي منح الأدلة لِمَ المعتقدات الإيمانية هي غير

---

1. Harris, The End of Faith: Religion, 65.
2. Ibid, 72.
3. Harris, Letter to a Christian Nation, 22.
4. Dawkins, The God Delusion, 23.
5. Ibid, 306.

عقلانية أو باطلة. على سبيل المثال، كرّسَ دوكينز فصلَين في كتابه «وهم الإله» لتقديم الحجج ضدّ وجود الله[١]، أمّا هيتشنز فقد أدرجَ على الأقل ستّة فصول مضادّة للدفاعيات في كتابه «الله ليس عظيمًا»[٢]. يُمكن لأيٍّ كان أن يعثر على حججٍ مُماثلة من خلال فتح أي كتابٍ تقريبًا حول الإلحاد الجديد والرجوع إلى الفهرس. إذا كان الإيمان من حيث التعريف مجرّدَ موقفٍ غير مُبرَّر، فلماذا إذًا يتمُّ تكريس مقدارٍ كبيرٍ جدًا من الوقت والحيّز للاحتجاج ضدّ الإيمان بالله؟ يبدو أنّ دعوى لاعقلانية الإيمان هي أمرٌ يودُّ الملحدون الجدد أن يحتجّوا لصالحه وليس مجرّد أن ينصّوا عليه.

ثانيًا، من غير الواضح إذا كانت المقدمة (٢) صحيحةً بناءً على هذا الفهم للإيمان. إذا كان الإيمان مجرّد موقفٍ غير عقلانيّ، فإنّ المقدمة (٢) تُوازي الادّعاء بأنّ (أغلب) المعتقدات الإيمانية هي غير عقلانية. ثمّة عدّة نقاط ينبغي التأكيد عليها هنا. أولًا، يملكُ المشروع الدفاعي المتمثِّل بتبرير المعتقدات الإيمانية تاريخًا غنيًا، حيث احتجّ مؤلّفون من أمثال أكويناس وأنسيلم وأوغسطين لصالح الاعتقاد الإيماني. لم تندثر الفلسفة والدفاعيات المسيحية مع عصر التنوير، بل انبثق تيّارٌ من التحدّيات الجديدة والمتنامية الدقّة في وجه الأُطُر غير الإيمانية[٣]. لا يتطرّق

1. Ibid, 75-105.111-151 ،

2. Hitchens, God Is Not Great: How Religion Poisons Everything, 63-73, 73-97, 109-139.

٣. راجع المؤلّفات التالية:

Plantinga, Warrant and Proper Function, 216ff.; Beilby, Naturalism Defeated? Essays on Plantinga's Evolutionary Argument Against Naturalism; Rea, A World without Design: The Ontological Consequences of Naturalism; Walls, and Dougherty, Two Dozen (or so) Arguments for God: The Plantinga Project.

دوكينز إلى أغلبية هذه الاحتجاجات، وعليه فمن البعيد كلّ البعد عن الوضوح -من خلال أيّ شيءٍ يقوله دوكينز- أن تفشلَ جميعُ هذه الاحتجاجات في توفير الأدلّة على الإيمان بالإله أو أن تفتقدَ المعتقدات الإيمانية لـ«التبرير الموضوعي[1]» ببساطة (كمّا يدّعي دوكينز). قد يُشيرُ أحدهم إلى أنّه ليس جميع من يذهبون إلى الكنيسة بانتظامٍ هم مُطّلعون على هذا الدليل. يُحتمل أنّ الشخص العادي الجالس في مقصورة الكنيسة يعرفُ مقدارًا قليلًا جدًا من الاحتجاجات على وجود الله أو ضدّ وجوده. وعليه، قد يعترف الملحدون الجدد أنّ الحالة العادية من الإيمان بالله هي غير مُبرَّرة. يأخذني هذا الاعتراض إلى نقطتي الثانية: احتجّ العديدُ من الفلاسفة البارزون مؤخرًا على أنّه يُمكن تبرير المعتقدات الإيمانية من دون احتجاجٍ صارم، وهذا يُشبه إمكانية تبرير اعتقاد الطفل بالعالَم الخارجيّ من دون احتجاجٍ صارم. يحتجُّ ألفين بلانتينغا[2] أنّه يُمكن للاعتقاد المسيحي أن يكون عقلانيًّا حتّى ولو لم يعتمد على معتقداتٍ أو احتجاجاتٍ أخرى، بينما يحتجُّ ويليام ألستون[3] أنّ التجارب مع الله قد تُبرِّر الاعتقاد الإيماني. مع أنّ هذه الاحتجاجات بالطبع ليست هي الكلمة الأخيرة حول المسألة، ولكن على حدّ علمي، لم يُقدِّم الملحدون الجدد أيَّ نوعٍ من المعالجة الموسَّعة لها.

إضافةً إلى ذلك، يُمكن أن يعلم الإنسان شيئًا ولكنّه لا يعرف كيف يعلمه. خُذ على سبيل المثال ولدًا وأباه. حسب الافتراض، يعلمُ الولد أنّ «هذ الرجل أبي» ولكن إذا سُأل كيف يعرف ذلك فلن يستطيع أن يُقدّم جوابًا مُرضيًا. هذا لا يعني أنّ الولد لا يعلم أنّ هذا الرجل هو أبوه أو أنّه لا يملك دليلًا جيدًا على

1. objective justification

2. Plantinga, Warranted Christian Belief.

3. Alston, Perceiving God.

ذلك. بالطريقة نفسها، كثيرٌ من الناس العاديّين الجالسين في مقصورات الكنائس قد يعلمون أنّ الله موجود ولكن لا يتمكّنون من أن يشرحوا بطريقةٍ مُرضية كيف يعرفون ذلك. هذا لا يعني أنّ إيمانهم غير عقلانيّ أو أنّهم يفتقدون للمعرفة أو للدليل على وجود الله. الواقع الذي يُفيدُ أنّ العديد من أصحاب الإيمان هم غير مُلتفتين إلى الاحتجاجات الإيمانية لا يستلزم أن يكون إيمانهم غير عقلانيّ[١]. وعليه، لم يتمّ إثبات المقدمة (٢) بالنظر إلى النقطة (١).

٣- ٢) الإيمان كمبرِّرٍ لذاته

ثمّة اقتراح ثانٍ يُفيدُ أنّ الإيمان هو موقفٌ يُبرِّر ذاته. تأمّل في الاقتباس التالي: «الإيمان مُبرّر ذاتيًا بشكلٍ كامل: لعلّ الحقيقة التي تُفيدُ أنّ الإنسان يؤمنُ بشيٍ لم يقع بعد («أمور يتمنّاها») أو ليس له دليلٌ عليها («أمور لا تُرى») تُشكِّلُ دليلًا على تحقّقه («تطمينًا»)»[٢]. الفكرة هنا هي أنّه ثمّة شيءٌ دائريٌ في الإيمان: فهو يُبرِّر أو يُعَقلِن ذاته. هذا يُشيرُ إلى التالي:

(٢) الإيمان يُبرِّر ذاته إبستمولوجيًا.

المواقف المبرّرة ذاتيًا هي مُثيرة للاهتمام فلسفيًا، ولكنّها ليست غير عقلانية معرفيًا بنحوٍ تلقائي. تُبيّن بعضُ الأمثلة هذه النقطة. تحدّث ويليام جيمز عن مُتسلِّق الجبال الذي يقف عند ممرٍ جبليٍ مُغطّىً بالثلج. افترِض أنّه لكي يبقى حيًا، يجب أن يقفز هذا المتسلِّق فوق فجوةٍ عميقة، ولكن ليس من الواضح إذا كان بمقدوره أن يُنجز هذه القفزة حتمًا. ولكن يعلمُ المتسلِّق أنّه إذا ازدادتْ ثقته بإتمام القفزة بنجاح، فإنّه سوف يكتسبُ المزيدَ من النشاط والحماس، وهذا

---

١. أتوجُه بالشكر إلى جوش راسموسن (Josh Rasmussen).

2. Harris, The End of Faith: Religion, 64.

راجع أيضًا: Hitchens God Is Not Great: How Religion Poisons Everything, 202.

يجعلُ من الأكثر ترجيحًا أن يقفز مسافةً أبعد ويهبط بنجاحٍ على الجانب الآخر. اعتقادُ المتسلِّق بـ«أنّني سوف أقفز بشكلٍ ناجح» يُرجّح أكثر أن يكون الاعتقاد صحيحًا. أو خُذ على سبيل المثال شخصًا على وشك أن يُلقي خطابًا: حينما يطمئن أكثر أنّه مُتحدّث ماهر، فإنّه سوف يكتسب الثقة والاتّزان وهذا يُرجّح أن يُلقي خطابًا رائعًا. كذلك، فإنّني لو اعتقدتُ أنّني سوف أبقى حيًا بعد عمليةٍ خطيرة فإنّ ذلك سوف يُرجّح أن أبقى حيًا، وإذا اعتقدتُ أنّني ألعب كرة السلة بشكلٍ جيّد فإنّ ذلك سوف يغرس الثقة التي تُرجّح أن ألعب بشكلٍ جيّد.

الحقيقة التي تُفيدُ أنّ هذه المعتقدات تُوفِّر أدلةً على ذواتها هو أمرٌ غريبٌ بشكلٍ مُعترف به. ولكن ليس من الواضح أن تكون هذه المعتقدات -فقط بناءً على كونها مُبرِّرة لذاتها- معيوبة معرفيًا. في الواقع، تكوين الاعتقاد يُرجِّح أن يكون الاعتقادُ صحيحًا. المواقف التي تُبرِّر ذاتها هي كذلك فقط: مُبرَّرة! من البعيد كلّ البعد أن تجعل النقطةُ (٢) المقدمةَ (١) صحيحة -في الواقع يبدو أنّ النقطة (٢) هي على خلافٍ مع المقدمة (١) التي تُصرّح أنّ الإيمان غير مُبرَّر.

كذلك، ليس من الواضح كيف تكون المقدمة (٢) -التي تنصّ على أنّ جميع المؤمنين بالله يملكون الإيمان- صحيحة نظرًا إلى بيان النقطة (٢) لـ«الإيمان»، خصوصًا إذا كنّا نتحدّث عن الإيمان بالله. لا أرى كيف يُبرّر إيمان الإنسان بوجود الله نفسه لأنّ هذا لن يجعل وجودَ الله أكثر ترجيحًا. ولكن كما سوف أحتجُّ في القسم الرابع، قد تصفُ النقطة (٢) أنواعًا مُحدّدة من الإيمان.

٣-٣) الإيمان والتحقيق

يربطُ الملحدون الجدد في بعض المواضع الإيمانَ بالتحقيق غير الكافي أو غير المسؤول (أي جمع الأدلّة). عبّر دِنيت عن هذا القلق كالتالي: «هذا هو الإرشاد الوحيد الذي سوف أُصدره قطعًا ومن دون تحفُّظ: ابحث أكثر. ثمّة بديل...

فقط تقبّله بثقةٍ عمياء»[١]. يبدو أنّ فكرة دِنيت تُفيدُ أنّ إجراء البحث وجمع الأدلّة يتناقضــان مع الإيمان. بطريقةٍ مُماثلة، يذكرُ هيتشــنز أنّ الإيــمان «يخنق التحقيق الحــرّ»[٢] بينما يقول هاريس إنّ أكبر شيءٍ يقــفُ في وجه التفكير النقديّ والنزاهة الفكرية هو الإيمان[٣]. تشيرُ هذه الملاحظات إلى التالي:

(٣) إذا امتلــكَ أحدهــم الإيمان، فإنّ هذا الشــخص لا يُحقّــق في إلتزاماته الإيمانية.

مــا إذا كان (٣) يفسر ســبب كون الإيــمان غير عقلاني -ممّــا يجعل المقدمة (١) صحيحــة- تعتمدُ على أمرين. أولًا، تذكّــر أنّنا مُهتمّين بالعقلانية المعرفية. ثمّة خلاف بين الفلاســفة فيما إذا كانت واجباتُ التحقيق معرفية. أشــارَ بعضُ الفلاســفة إلى أنّ السؤالين حول ما إذا كان يجب أن نجمع الأدلة وما هو مقدار الجمــع يعتمدان على اعتبــاراتٍ عملية وليس معرفية[٤]. يُمكــن أن يُفسِّر هذا لِمَ يبدو أنّه ينبغي أن نقضي وقتًا في جمع الأدلّة حول الأمور المهمة وليس مجرد حفظ أرقام دفتر الهاتف غيبيًا، رغم أنّ حفظها سوف يمنحنا كثيرًا من المعرفة. المعرفة عديمة الفائدة ليســت مهمة إلى ذلك الحدّ. يســتنتجُ البعض مــن هذا الأمر أنّ التحقيق هو مسألة عملية وليس معرفية. ولكنّ هذا مثير للجدل، ولهذا السبب فلنفترِض لصالح الاحتجاج وجودَ تكاليف معرفية مُتعلّقة بالتحقيق وأنّ الفشل في تنفيذها قد يجعل الموقف غير عقلاني معرفيًا.

---

1. Dennett, The God Delusion, 312.

2. Hitchens, God Is Not Great: How Religion Poisons Everything, 137.

3. Harris, Letter to a Christian Nation, 28.

٤. راجع المؤلّفات التالية:

Conee, and Feldman, “Evidentialism”; Feldman, “The Ethics of Belief”; Berker, “A Combinatorial Argument against Practical Reasons for Belief”.

هذا يُثيرُ سؤالًا ثانيًا يتّصل بكون المقدمة (١) صحيحةً أم لا: إذا كانت لدينا تكاليف معرفية تدفعنا نحو التحقيق، فما هي هذه التكاليف؟ بالتأكيد لا يجب أن نُحقّق في جميع مواقفنا لكي تكون مُبرَّرة. بعض البيانات من أمثال 2=1+1، أو «تعذيب الرضّع من أجل المتعة هو خطأ» هي بديهية، وبالتالي لا ضرورة للتحقيق لكي نعتقد بها أو نعرفها عقلانيا. إضافة إلى ذلك، لا ينبغي أن يكون البيان بديهيًا ليندرجَ ضمن هذه الفئة. إذا ذكرت والدتي بشكلٍ عابرٍ أنّها تناولت البيضَ على الفطور، فلا يتحتّم عليّ أن أستجوب أبي أو أن أتفقّد حاوية القمامة بحثًا عن قشور البيض لكي أكون مُبرّرًا في تصديقها. بالتالي، فإنّ عدم التحقيق بمسألةٍ ما لا يجعلُ مواقف الإنسان غير عقلانية بشكلٍ تلقائي.

وعليه، ثمّة أسباب للقلق بأنّ النقطة (٣) لا تجعلُ الإيمان غير عقلانيّ. ولكن ماذا عن المقدمة (٢)؟ هل إنّ أغلب المؤمنين بالإله يملكون الإيمان إذا كانت النقطة (٣) تصفُ بشكلٍ دقيقٍ ما يعنيه أن يملك الإنسان الإيمان؟ إذا فهما «التحقيق»[1] بأنّه مجرّد جمعٍ للأدلّة، فإنّ الجميع تقريبًا ممّن يؤمنون بالله يُحقّقون، وهم يبحثون عن نوعٍ ما من الأدلّة على أنّ مُعتقداتهم الإيمانية هي صحيحة حتّى لو كانت تلك الأدلّة، مثلًا، مجرّد أدلة مبنيّة على الشهادة. قد يتمثّل نموذجٌ أكثر معقوليةً من الشكوى في أنّ المؤمنين لا يُحقّقون بما فيه الكفاية في إيمانهم. هذا يُشيرُ إلى إحداث تعديلٍ في النقطة (٣):

٣*) إذا امتلكَ أحدهم الإيمان، فإنّ هذا الشخص لا يُحقّق بشكلٍ كافٍ في إلتزاماته الإيمانية.

ولكن لعلّ أكبر مشكلة مع النقطة (٣*) هي أنّها لا تُحدِّد ما هو المطلوب للتحقيق الكافي. سوف يكونُ من الصعب وضع السقف للتحقيق الكافي في

1. inquiry

موضــعٍ يتّضح فيه أنّ كلًّا من المقدمة (١) والمقدمة (٢) هما صحيحتان. لا يُمكن رفع الســقف بشكلٍ عالٍ جدًا لأنّ تكاليفنا الداعية إلى التحقيق هي محدودة؛ وكما ناقشــنا ســابقًا، يبدو أنّ هناك العديد من القضايا التي يُمكن أن نعتقد بها عقلانيًّا -وحتّى أن نعرفها- مع تحقيقٍ قليل أو من دون أيِّ تحقيق مُطلقًا. حتّى فيما يتعلّق بالقضايا المهمة بشــكلٍ كاف، فمن غير الواقعي نفسيًا وعمليًا استلزامُ الكثير من التحقيق لإحراز العقلانية. كذلك، يُحتمل أن يعني السقف المرتفع للغاية أنّ أغلب مواقفنــا (وليس فقط تلك المواقف المتعلّقة بــالله) هي غير عقلانية، وهذا مخالف للحدس[1]. كلّما كان السقف أعلى، تدنّى احتمالُ أن تكون المقدمة (١) صحيحة.

لهذا الســبب، قد يُحــاول الفرد أن يخفض المعايير وأن يقــول إنّنا بحاجةٍ إلى بعض التحقيق -ولكن ليس الكثير منه- لكــي تكون المواقف الناتجة عقلانية. ولكن مع خفض المعايير، فإنّ عددًا أكبر من المؤمنين بالله سوف يلبّونها. كما ذكرنا آنفًا، فإنّ أغلــب المؤمنين بالله ينخرطون في نوعٍ مُعيَّن من جمع الأدلّة وفحصها. وعليه، فإنّ التحدّي الذي يُواجه الملحدين الجدد هو وضع ســقف التحقيق في مكانٍ مُحدّد حيث لا يكون مُتطلّبًا بشــكلٍ غير معقول ولكن في الوقت نفسه أن لا يســتوفيه أغلب المؤمنين بالله. لم يُعالَج هذا التحدّي لغاية الآن، وأنا أُشــكّك إن كان فعلًا يُمكن أن يُعالَج.

٣- ٤) الإيمان والدليل

أحد أكثر الأمور شــيوعًا الــذي يقوله الملحدون الجدد عــن الإيمان هو أنّه غير مبنيّ على الدليل. يُعلّق هاريس أنّ الإيمان هو «فعلٌ معرفي يملكُ مُســتوىً

1. counterintuitive

مُنخفضًا من الدليل»[1]. أمّا دوكينز، فهو يذكرُ أنّه لو امتلكنا الإيمان بشيءٍ ما فإنّنا لن نُغيِّر رأينا مهما حصلنا عليه من الأدلة؛ الإيمان هو ببساطة «اعتقاد دون دليل»[2]. يؤكّد دوكينز في موضعٍ آخر على هذه النقطة قائلًا: «ولكن، بعد كلّ شيء، ما هو الإيمان؟ إنّه حالة ذهنية تقودُ الناس إلى الاعتقاد بشيءٍ ما... في غيابٍ تام للأدلة الداعِمة»[3]. أمّا هيتشنز فيُلاحظ أنّ «قفزة الإيمان» هي خدعة لأنّه يُتوقّع منّا أن ننجزها رغم «الأدلة المتنامِية على العكس»[4]. تُشيرُ هذه الملاحظات إلى التالي:

(٤) الإيمان غير مبنيّ على دليل (كاف).

نظرًا إلى النقطة (٤)، هل الإيمان غير عقلاني؟ يكونُ الإيمان غير عقلاني إذا كانت النزعة الدليلية[5] صحيحة. النزعة الدليلية هي الرؤية التي تُفيدُ أنّه لكي يكون الموقف عقلانيًّا، يجب أن يبتني على الدليل. ناقشَ الفلاسفة مسألة النزعة الدليلية، ولكنّها أطروحة معقولة بنحوٍ كاف (على الأقلّ بناءً على بيان واسعٍ بشكلٍ وافٍ للدليل) والتي سوف أفترضها لصالح الاحتجاج.

ولكن ماذا عن المقدمة (٢)؟ هل يبني أغلب المؤمنين بالله إيمانَهم على الدليل؟ أغلبهم على الأقلّ يبنون مُعتقداتهم على الشهادة[6] أو التجربة. يعتمدُ المؤمنون على دليل الشهادة التاريخية (مثلًا: مؤلّفو كتبهم المقدّسة) وشهادة عوائلهم

1. Harris, The End of Faith: Religion, 65.
2. Dawkins, The God Delusion, 199.
3. Dawkins, The Selfish Gene, 330.
4. Hitchens, God Is Not Great: How Religion Poisons Everything, 71.
5. evidentialism
6. testimony

وقادتهم الروحيّين أو آخرين في مُجتمعاتهم. يعتمدُ المؤمنون أيضًا على تجاربهم، سواء كانت تجارب مُتّصلة بالله من خلال الطبيعة أو في الدعاء أو في الطقوس الدينية/ التقاليد/ المراسم وما إلى ذلك. يبدو أنّ أغلب الإيمان بالله مبني على نوعٍ ما من الدليل.

يُحتمل أن يُجيب الملحد الجديد أنّ هذا لا يُضفي الطابع العقلانيّ على الإيمان بالله. لماذا؟ قد يتمثّل المقترح الأولي في أنّ الشهادة والتجربة لا يُعدّان دليلًا على الإطلاق. ولكن اتّباعَ هذا المسار يجعلُ أغلبَ مُعتقداتنا اليومية غير عقلانية (عند التأمُّل، نحن نؤمن بعددٍ كبيرٍ من الأمور بناءً على الشهادة). يبدو أنّ هذا يستبعدُ الأشياء التي يُريدُ الملحدون الجدد أن يحسبوها أدلة –على سبيل المثال، الاعتقاد بادّعاءٍ علميٍ ما بناءً على شهادة عالم موثوق[1]. قد يرغبُ الملحدون الجدد أيضًا أن يسمحوا للإنسان أن يكفر بالله انطلاقًا من تجاربه المتعلّقة بالشرّ في هذا العالَم. وعليه، لا أعتقدُ أنّهم يُريدون أن يستبعدوا الشهادة والتجربة تمامًا.

من ناحيةٍ أخرى، قد يرغبُ الملحدون الجدد في أن يقولوا إنّ الشهادة والتجربة يُمكن أن يُبرّران، ولكن ليس دائمًا. بعدها، قد يُميِّز الملحدون الجدد بين الأنواع المختلفة من الشهادة لإقصاء الشهادة التي تبرّر الإيمان ولكن يسمحون لمصادر أخرى من الشهادة. قد يُفرِّق الملحدون الجدد بين الشهادة الموثوقة والمضلِّلة، ويؤكّدون أنّه علينا فقط أن نثق بالأولى. مع ذلك، وفي الحالات حيث نملكُ أدلّة مُضلِّلة، يُمكن أن نمتلك مُعتقدات باطلة ولكنّها عقلانية. مثلًا، قبل حصول مفاجأة كبيرة في الرياضة، اعتقدَ الجميع تقريبًا أنّ الفريق الأفضل سوف يفوز. هذا الاعتقاد عقلانيّ حتّى لو تبيّن أنّه باطل، وذلك بسبب الدليل

1. Harris, The End of Faith: Religion, 66.

الساحق (ولكن المضلِّل) لصالحه. يُقبَل بشكلٍ عام تقريبًا أنّ المعقولية والحقيقة قد ينفصلان، ومن العقلانيّ أن نتّبع دليلنا حتّى ولو لم يقدنا دائمًا إلى الحقيقة. وعليه، فإنّ الاقتراح القائل بأنّ الإيمان غير عقلاني لأنّه مبنيّ على دليلٍ مُضلِّل ليس واعدًا.

ثمّة اقتراح آخر وهو أنّ المشكلة مع الوثوق بالشهادة الدينية تتمثّلُ في أنّ ادّعاءاتها ليست قابلة للإثبات علميًا. يبدو أنّ هذا المسار هو مسارٌ دافع عنه هاريس[1] الذي أشارَ إلى أنّه لكي يتمّ الوثوق بالشهادة يجب أن تكون ادّعاءاتها قابلة للإثبات[2]. كذلك، أكّد جيريمي ستنغر مؤلِّف كتاب «الإلحاد الجديد[3]»، أنّه ينبغي تفقُّد الشهادة مع مُلاحظاتٍ مُستقلّة. لعلّ المشكلة مع الإيمان ليست النقص في الدليل، بل بناؤه على النوع الخطأ من الدليل. هذا يؤدّي إلى محور تركيزٍ مُختلف قليلًا: المشكلة مع الإيمان هي أنّ الإيمان ليس مبنيًا على الدليل التجريبي.

٣- ٥) الإيمان والدليل التجريبي

الدليل التجريبي هو الدليل الذي نحصلُ عليه من خلال تجربة أو دراسة العالَم من حولنا. ثمّة مثال نموذجي عن الدليل التجريبي، وهو الدليل العلميّ. يُشيرُ الملحدون الجدد في مواضع كثيرة إلى أنّ المشكلة مع الإيمان بالله هي أنّه ليس مبنيًا بشكلٍ ملائم على الدليل التجريبي. يُصرِّح دِنيت أنّ «الإعلانات الدينية تتعلّق بأمورٍ تقع خارج الملاحظة، خارج الاختبار ذي المعنى» وأنّه:

«قد لوحظ من قِبل العديد من المعلّقين أنّه لا يُمكن اختبار المعتقدات الدينية

---

1. Ibid, 74-77.

2. verifiable

3. Stenger, The New Atheism: Taking a Stand for Science and Reason, 72.

العادية والرسمية[1] بهدف التحقُّق من صدقها...هذه...صفة تعريفية للعقائد الدينية. يجب أن تؤخَذ «على الإيمان» وهي ليست عرضة للتأكيد [العلميّ أو التاريخي]»[2].

يقول هيتشنز إنّ مبادئه ليست إيمانًا لأنّه لا يثقُ بأيِّ شيءٍ يُناقضُ العلم[3]. أمّا هاريس، فهو يربطُ الإيمان بـ«القضايا غير القابلة للاختبار»[4]، ويؤكِّد أيضًا أنّه يمكن أن نثق بالمهندسين والأطبّاء ولكن ليس بالقسّيسين أو الأحبار لأنّ الفئة الأولى تطرح ادّعاءاتٍ حول العالَم قابلة للإلغاء وقابلة للإبطال، بينما لا يُمكن لأيِّ شيءٍ أن يُظهر بُطلان المعتقدات الجوهرية للقادة الروحيّين[5].

ظاهريًا، قد يعتقد أحدهم أنّ هذه التصريحات تُشيرُ إلى أنّ الدليل التجريبي هو المصدر الوحيد الذي يُبرِّر معرفيًا. هذا يُشير إلى أنّ المشكلة مع الإيمان هي كالتالي:

(٥) الإيمان ليس مبنيًا فقط على الدليل التجريبي.

لكي تجعل النقطة (٥) المقدمة (١) صحيحة، ينبغي أن يثبُت شيءٌ كالمبدأ التالي: لكي يكون الموقف عقلانيًا، يجب أن يبتني فقط على الدليل التجريبي. ولكنّ هذا المبدأ غير معقول. المشكلة الأولى معه هي أنّه لو كان صحيحًا، فلا يُمكن الاعتقاد به عقلانيًّا لأنّه لا يُمكن أن يُبرَّر عبر الدليل التجريبي وحده. السبب وراء هذا هو أنّ المبادئ حول العقلانية ليست مبادئ نتعلّمها من خلال

1. canonical
2. Dennett, The God Delusion, 238-239.
3. Hitchens, God Is Not Great: How Religion Poisons Everything, 5.
4. Harris, Letter to a Christian Nation, 16.
5. Ibid, 66.

دراســة العالم التجريبي، بل إنها تتعلق بمطالبات متعلقة بـ«يجب» التي لا يمكن للعلم إثباتها. وعليه، ثمّة مشاكل ذاتية الإحالة مع هذا المبدأ. ثانيًا، يفترضُ المبدأ أيضًــا أنّ الدليــل التجريبي هو النوع الوحيد من الدليــل الذي يمكن أن يجعل الموقف عقلانيًّا. هذا الافتراض مشــكوكٌ فيه لأنّه يُغفل مصادر الدليل كالدليل الســابق على التجربة (مصدر الدليل للرياضيــات والمنطق والحقائق الأخلاقية ومــا إلى ذلك)، الدليل المبنيّ على الذاكرة، وأنــواعٍ كثيرة أخرى من الدليل غير التجريبــي[1]. إذا كان الدليل التجريبي هو النوع الوحيد من الدليل الذي يُمكن أن نعتمد عليه عقلانيًّا، فإنّ أغلبيةً كبيرةً من مُعتقداتنا سوف تكونُ غير عقلانية. وعليه، نظرًا إلى (٥)، ليس من الواضح أن تكون المقدمة (١) صحيحة.

عمومًا، يُشبه المبدأ في المقطع السابق بشكلٍ وثيق ما يُسمّيه البعض العلموية، وهــو الرأي الذي يُفيــدُ أنّ العلمَ التجريبي هو مصدرنــا الوحيد للدليل و/ أو التبرير الوحيد للاعتقاد[2]. هذا رأيٌ يُنسَب مرارًا إلى الملحدين الجدد، ولكن من غــير الواضح أنّ جميعهم يعتقــدون به، وقد أنكر بعضهم أيضًا بشــكلٍ صريح النــماذج القوية من العلموية[3]. ولكــن نظرًا إلى التأكيد المحــوري الذي يُضفيه الملحدون الجدد على المعرفة العلمية والممارسة العلمية، فمن المرجّح أنّهم ما زالوا يؤيّدون شــيئًا كالذي يُسمّيه تايلر «العلموية الضعيفة»[4]، أو أنّ العلم التجريبي هو منهجنا الأفضل لتشكيل المعتقدات عن العالَم.

إذا كانت العلموية الضعيفة صحيحة، فهذا يُشــيرُ إلى أنّ المشكلة مع الإيمان لا تتمثّــل في أنّه غير مبنيّ على الدليل التجريبي فحســب بــل أنّه غير مبنيّ على

1. Kelly, “Evidence”, The Stanford Encyclopedia of Philosophy.

2. Taylor, “The New Atheists”.

3. Stenger, The New Atheism: Taking a Stand for Science and Reason, 285.

4. weak scientism

الدليل التجريبي مُطلقًا. يبدو هذا شبيهًا بتفسيرٍ أكثر تسامحًا لشكوى الإلحاد الجديد:

(٥*) الإيمان ليس مبنيًا على أيّ دليلٍ تجريبي.

لكي تكون المقدمة (١) صحيحة، نظرًا إلى (٥*)، فهذا يتطلّب مبدأً أضعف من ذي قبل: لكي يكون الموقف عقلانيًّا، يجب أن يُبنى جزئيًا على الأقل على الدليل التجريبي. يسمحُ هذا المبدأ لعددٍ أكبر من مُعتقداتنا اليومية أن يكون عقلانيًّا.

هل تجعل النقطة (٥*) المقدمة (١) والمقدمة (٢) صحيحتَين؟ هذا يعتمد على ما يعتبره الإنسان بالضبط «دليلًا تجريبيًا». مع ذلك، يُمكن أن نُظهر أنّ النقطة (٥*) لن تؤدّي الوظيفة من دون جوابٍ دقيق. تأمّل بالمعتقدات حول الماضي؛ المعتقدات حول الرياضيات والمنطق والأخلاق؛ الاعتقاد بالاستقراء، بأنّ المستقبل سوف يكون كالماضي (وهو افتراض لا يُستغنى عنه في الممارسة العلمية)؛ أو حتّى الاعتقاد بأنّ الدليل التجريبي هو موثوقٌ أحيانًا (مثلًا: أنا لستُ دماغًا في خزّانٍ مع أقطابٍ كهربائية تُحفِّز حواسّي). هل هذه المعتقدات مبنيّة جزئيًا على الدليل التجريبي؟ إذا لم يكن الأمر كذلك، وما زالت هذه المعتقدات عقلانية أحيانًا، فإنّ المبدأ الذي يُشكِّلُ أساسَ (٥*) -أي أنّ الاعتقاد العقلاني يتطلّب أن يكون مبنيًا جزئيًا على الدليل التجريبي- سوف يكون باطلًا. وعليه، فإنّ المقدمة (١) سوف تكون باطلة أيضًا. افترِض بدلًا من ذلك أنّ هذه المعتقدات هي مبنيّة جزئيًا على الدليل التجريبي. لماذا إذًا لا يُمكن للإيمان بوجود الله أن يكون أيضًا مبنيًا بشكلٍ جزئيٍ على الدليل التجريبي؟ بالطبع لا شيء من هذه الأمور -الحقائق حول الرياضيات، المنطق، الأخلاق، الاستقراء- هي أمور يُمكن للعلم الطبيعي أن يبتّ بها بشكلٍ كامل (رغم أنّ العلم الطبيعي قد يتّصل

بها). ولكنّ النقطة الأساسية هي أنّه من غير الواضح لماذا يفشل الإيمان بوجود الله في أن يكـون مبنيًا عـلى الدليل التجريبي بينما المعتقدات الفلسـفية الأخرى تكون مبنيّة على الدليل التجريبي.

وعليـه، فإنّ المشـكلة الأساسـية هـي وجود تسـاوٍ بين الإيمان بـالله وهذه المعتقدات الفلسفية الأخرى حينما يتعلّق الأمر بالدليل التجريبي. من غير الواضح إذا كان يُمكـن للمبدأ (٥*) أن يجعل المعتقدات حول الماضي والمنطق والأخلاق والرياضيات والاستقراء ومناهضة الشك عقلانية بالقوة ولكن أن لا يجعل الإيمان بالله كذلك. إذا اعترفنا بأنّ هذه المعتقدات السابقة كثيرًا ما تكون مبنية على الدليل التجريبي وبالتـالي تكون عقلانية بالقوة، فليس هناك سـبب إذًا لكي نتصور أنّ الإيمان أو الاعتقاد بوجود الله لا يُمكن أن يكون عقلانيًّا بالقوة أيضًا.

ثمّة مبدأ محتمل ثالث جديرٌ بالتأمُّل وهو كالتالي:

(٥**) الإيمان غير قابل للاختبار/ غير قابل للإبطال.

يختلفُ هذا المبدأ قليلًا عن (٥*) لأنّ الشيء يُمكن أن يكون قابلًا للإبطال ولكنّـه ليس مبنيًّا عـلى الدليل التجريبي. خُذ على سـبيل المثـال فرضيةً علمية عشـوائية فكّرتُ بها للتوّ، وافـترِض أنّني لا أوظِّف أيّ دليـلٍ تجريبيٍ في إنتاج الفرضية. افترِض أنّني قرّرتُ الاعتقاد بالفرضية. اعتقادي ليس مبنيًا على الدليل التجريبي، ولكنّه قابل للاختبار أو قابل للإبطال.

ما زال هذا المسار إشكاليًا. أولًا، يُمكن أن نُشغِّل مُعضلةً شبيهة بالمعضلة التي شغّلناها ردًا على (٥*). هل إنّ معتقداتي الفلسفية ومُعتقداتي حول الماضي قابلة للاختبار؟ إذا كان ذلك صحيحًا (ربما المعنى من «قابلة للاختبار» هو أنّه بإمكاننا أن نحصـل على الدليل العلمـيّ المتّصل بها)، فليس هناك سـبب لكي نظنّ أنّ مسألة وجود الله هي قابلة للاختبار بشكلٍ مُشابه. إذا كانت المعتقدات الفلسفية

والمعتقدات حول الماضي غير قابلة للاختبار، فلكي تجعل النقطةُ (٥❊❊) المقدمةَ (١) صحيحــة، يبدو أنّ علينا أن نتخلّى عــن عقلانية هذه المعتقدات أيضًا. هذا بالطبع ليس مســارًا يودّ أن يتّبعه الملحدون الجدد -الاستقراء ومُعتقداتنا حول العالم الخارجي لا يُســتغنى عنها في المناهج العلميــة، ويرى الملحدون الجدد أنّ المعتقدات العلمية هي حالات نموذجية من المعتقدات العقلانية.

خذ بعين الاعتبار في الختام أنّ بعض العقائد المقدّسة قد تكون أشبه بفرضياتٍ علمية بدلًا من قضايا فلســفية غير تجريبية بنحوٍ كلي. على ســبيل المثال، تُعلّمنا المسيحية أنّ يســوع كان شــخصيةً تاريخية فعلية قامتْ من الموت. يقولُ بولس نفسه إنّه لو لم يقم يســوع، لكان الإيمان المسيحي باطلًا[1]. لو اكتشفَ المؤرّخون أو العلماء عظامَ يســوع، فإنّ هذا يدعو للتشكيك في صحّة المسيحية ويُحتمل أن يُبطِل المنظومــة بأكملها[2]. تُقدِّم الأديان الأخرى ادّعــاءاتٍ تاريخية مماثلة -ثمّة دعوى إسلامية مركزية تتمثّل في أنّ محمدًا قد تلقّى القرآن من الله وحيًا. وعليه، بعض الادّعاءات الدينية قابلة للإبطال.

❊❊❊

في الختام، ليس واضحًا ما هو الإيمان حيث يكونُ في الوقت نفسه غير عقلانيّ معرفيًا ويملكه جميع المؤمنين بالله أو أغلبهم. ما زلنا لم نرَ أيَّ سببٍ جيدٍ للاعتقاد بــأنّ أغلب المؤمنين هم غير عقلانيّين، رغم أنّنا قــد نملك الآن فكرةً جيدةً عمّا ليس هو من الإيمان. أنتقل الآن إلى السؤال حول ما هو الإيمان.

---

1. 1 Cor. 15:14.

٢. حتّى هاريس يعترف بذلك في:

Harris, The End of Faith: Religion, Terror, and the Future of Reason, 68.

٤. طبيعة الإيمان

سوف أخصّص في هذا القسم خاصيتين للإيمان. أولًا، تذكّر مُتسلّق الجبال الذي يتّسمُ اعتقاده بأنّه سوف ينجح في القفز بأنّه مُبرِّر لذاته؛ فامتلاكه لهذا الاعتقاد يُرجّح أن ينجح في القفز. لقد ناقشنا أمثلةً أخرى مماثلة: كاللاعب الرياضي، الخطيب العام، والفرد المشرف على الخضوع لعمليةٍ جراحية. في هذه الحالات، جعلَ الاعتقادُ نفسَه مُرجَّح الصحّة بشكلٍ أكبر. اقتراحي الأول هو أنّ هذه المواقف المحقِّقة لذاتها تصفُ نوعًا مُحدّدًا من الإيمان بأنفسنا وبالآخرين.

في العديد من هذه الأمثلة، يُمكن أن نصف بشكلٍ طبيعيٍ الأفراد الذين يملكون مواقف مُحقِّقة ذاتيًا بأنّهم يملكون الإيمان بأنفسهم. يمتلكُ اللاعب الرياضي الإيمان بأنّه سوف يلعب جيدًا، ويمتلكُ الخطيب العام الإيمان بأنّه سوف يُلقي الخطاب بمهارة. هنا، يخلقُ الإيمان بالنفس دليلًا لصالح ذاته. وبطريقةٍ مماثلة، حينما أعتقد أنّ شخصًا آخر سوف يُنجز شيئًا ببراعة وأخبره بذلك، فإنّ ثقتي بقدراته قد تجعل من المرجّح أكثر أن يُجيد العمل. على سبيل المثال، خُذ بعين الاعتبار شخصين هما على وشك الزواج ولكنّهما علما أنّ الطلاق مُحتمل إحصائيًا. مع ذلك، يؤمن الاثنان أنّ زواجهما سوف يستمرّ، وهذا الإيمان يجعل من المرجّح أكثر أن يدوم زواجهما. هذا يُمكّنهما من الإلتزام بإخلاصٍ بالزواج بناءً على إيمانهما بأنفسهما وببعضهما بعضًا لأنّ حقيقة أنّهما يملكان هذا الإيمان يجعل من الأكثر ترجيحًا لإلتزامهما أن ينغرس[١].

لا أعتقدُ فقط أنّ هذه طريقة طبيعية للتفكير بالإيمان بالذات وبإيمان المجتمعات، بل أعتقد أيضًا أنّ هذا يُفسِّر لماذا قد تبدو العلاقة بين الإيمان

١. أتوجّه بالشكر إلى جوناثان نِبِل (Jonathan Nebel).

والدليل غريبــة أو مُحيِّرة. لا تخلــقُ العديد من مُعتقداتنا أدلةً على أنفســها بهذه الطريقة، ومن دون وجود تفســيرٍ لكيفية عمل هذا الأمر، فليس من المفاجئ أن يظنّ الناس للوهلة الأولى أنّ الإيمان من هذا النوع هو غير عقلانيّ. ولكن حينما يُفهَم النموذج، يُصبح واضحًا أنّ هذا النوع من الإيمان ليس معيوبًا معرفيًا –هو يُبرِّر نفسه[١].

مــع ذلك، لا أعتقد أنّ الإيمان المحقِّق لذاته يصفُ الإيمان بالله. على ســبيل المثــال، إيمان الإنســان بأنّ الله مُحبّ لا يجعل الله مُحبًا أكثــر[٢]. مع ذلك، خذ بعين الاعتبــار الخاصية الثانية للإيمان التي يُمكن أن تصفَ الإيمان بالله: الإيمان ليس مبنيًــا فقط على الدليل التجريبي. الفكرة هنا هــي أنّه حينما نمتلك الإيمان، فإنّنا نتجاوز ما يُمكن إثباته قطعًا عبر العلم الطبيعي.

ولكن فيما يتعلّق بكثيرٍ من قراراتنا حول ما نؤمن به وما نفعله، فإنّنا لا نملك (ولا يُمكن أن نملك) دليلًا تجريبيًا لا شكّ فيه. حينما أمتلكُ الإيمان بأنّ صديقي أمين وأســتودعه سرّي، فإنّني «أتجاوز» الدليل التجريبي (حتّى لو كنتُ أمتلكُ بعضَ الأدلة التجريبية على أنّه أمين). يُفسِّر هذا الفهم للإيمان لِمَ الإيمان هو جزءٌ مهــمٌ في المجتمعــات المزدهِرة – الدليــل التجريبي لن يمنحنــا كلّ ما نحتاجه، خصوصًا في العلاقات الشخصية.

---

١. بالطبــع، لا أدّعي أنّ هذا النوع من الإيمان هو عقلاني دائــمًا أو أنّه لا يُمكن أبدًا أن نكون مُفرطي الثقة بقدراتنا.

٢. لقد أُشــير لي أنّه وفقًا لبعض قراءات جايمز، فإنّ الإيمان الجايمزي لا يخلق الدليل لنفســه، بل يكشف الدليل لنفسه. على هذه القراءة، يُمكّننا الإيمان من الوصول إلى الدليل الذي كان مُتواجدًا طوال الوقت ولكنّــه غير متاح لنا. على ســبيل المثال، قــد يوجد دليلٌ على وجود الله غير متــاح إلا إذا قام الفرد أولًا «بمســاومة الفرضية» ووضعَ إيمانه بالله. مع ذلك، الدليل موجود سواء اعتنق الفرد الفرضية أم لا. في هذا، يُمكن أن ينطبق الإيمان الجايمزي على الإيمان بالله. أتوجّه بالشكر إلى إيان هَييت (Ian Huyett).

لا يحتاجُ أنصارُ هذا الرأي إلى أن يُصرّوا أنّه حينما نمتلكُ الإيمان فإنّنا نفشل في أن نُناسب مُعتقداتنا مع الدليل -بدلًا من ذلك، نحن نعتمدُ على المصادر غير التجريبية للدليل. الشهادة هي مثالٌ مهم. الشهادة هي مصدرٌ لا يُستغنى عنه للدليل، وقد احتجَّ الفلاسفة أنّ الإيمان والدليل المستمدّ من الشهادة هما مُرتبطان بشكلٍ وثيق[١]. حينما نعترف بأنّ الدليل يتجاوزُ الأمور التجريبية، يُمكن أن نرى لماذا لا يتجاهل الإيمان الدليل أو يُعارضه؛ بل الدليل العلميّ وحده ليس كافيًا لحياةٍ مُزدهرة وعلاقاتٍ زاخرة بالمعنى.

إذا لم يكن الإيمان مبنيًا بشكلٍ كاملٍ على الدليل التجريبي، فإنّ هذا يُفسِّر أيضًا لماذا يُقارن الإيمان غالبًا بالبرهان الملموس[٢] ولماذا أنا لستُ بحاجةٍ لكي أمتلكَ الإيمان بأمورٍ من قبيل فرضيةٍ علميةٍ راسخة أو بوجود كأسٍ على الطاولة أمامي. هذا التفسير يشرحُ أيضًا لماذا «بالإيمان نَسلُك لا بالعيان»[٣] ولماذا الإيمان هو «الإِيقَانُ بِأُمُورٍ لاَ تُرَى»[٤].

على هذا التفسير، يتطلّبُ الإيمان بالله أكثر من الدليل التجريبي. رغم أنّ الدليل التجريبي/ العلميّ يُمكن أن يتّصل بمسألة وجود الله، إلا أنّني أشكّ أنّه يبتّ في الأمر. تتطلّبُ منّا الجدالات حول الإيمان بالإله أن ننظر أبعد من الجانب التجريبي، كما مسألة وجود العالَم الخارجيّ أو مسألة موثوقية أيّ دليلٍ تجريبيٍ. وعليه، يتجاوز إيمانُ أغلب المؤمنين الجانبَ التجريبي -سواء كان يعني

---

١. راجع:

Locke, An Essay Concerning Human Understanding, book IV, chapter 18, paragraph 2; Alston “Belief, Acceptance, and Religious Faith.”

2. tangible proof

3. 2 Cor. 5:7.

4. Heb 11:1.

ذلك توظيف الأدلّة السابقة على التجربة على وجود الله، الاعتماد على شهادة الأشخاص في مُجتمعك الروحي أو الشخصيات التاريخية أو القادة الروحيّين، أو الوثوق بالتجارب المتعلّقة بصوت الله في حياتهم.

٥. النتيجة

لقد احتججتُ في هذا الفصل لصالح أمرين. أولًا، احتججتُ على عدم وجود مفهومٍ واحدٍ للإيمان هو غير عقلانيّ ويملكه أغلبُ المؤمنين. لم يُقدِّم الملحدون الجدد حجّةً ناجحة على أنّ أغلب المؤمنين يملكون إيمانًا غير عقلانيّ. ثانيًا، لقد اقترحتُ خاصيتَين للإيمان: أولًا، تصفُ المعتقدات المبرِّرة لذاتها المنسوبة إلى جيمز نوعًا فريدًا من الإيمان بالذات وبالآخرين؛ وثانيًا، الإيمان ليس مبنيًا فقط على الدليل التجريبي. إحدى الدروس المهمّة التي نتعلّمها من هذا هو أنّ النظر أبعد من الدليل التجريبي يُعدُّ جزءًا مهمًا من الحياة المزدهرة. رغم أنّه لا يُمكنني أن أدافع عن هذا الأمر بشكلٍ كاملٍ هنا، إلا أنّه يُشيرُ إلى أنّ الإيمان ليس عقلانيًّا فحسب بل هو جزء أساسي من الازدهار البشريّ[١].

١. أتوجّه بالشكر إلى جوش راسموسن، كيفن فالير، وإيان هَييت للملاحظات المفيدة التي قدّموها حول نماذج أبكر من هذا الفصل. أتوجه بالشكر إلى آندي روجرز، جوناثان نِبِل، آندرو مون، وريبيكا جاكسون ومَن حضرَ مؤتمر المؤمنون الجدد لتعليقاتهم القيّمة على مضمون هذا الفصل.

المصادر

1. Alston, William., Perceiving God, Ithaca, NY: Cornell University Press, 1991.
2. ———, "Belief, Acceptance, and Religious Faith", In Faith, Freedom, and Rationality: Philosophy of Religion Today, edited by J. Jordan and D. Howard-Snyder, Lanham, MD: Rowman & Littlefi eld, 1996.
3. Audi, Robert., Rationality and Religious Commitment, Oxford: Oxford University Press, 2011.
4. Beilby, James K. ed., Naturalism Defeated? Essays on Plantinga's Evolutionary Argument Against Naturalism, Ithaca, NY: Cornell University Press, 2002.
5. Berker, Selim., "A Combinatorial Argument against Practical Reasons for Belief", In Analytic Philosophy, 59, (2018): 427-470.
6. Cohen, Jonathan., "Why Acceptance That p Does Not Entail Belief That p", In Believing and Accepting, edited by Pascal Engel, Dordrecht: Kluwer Academic, 2000.
7. ———., 2010. "Rationality", In A Companion to Epistemology, edited by J. Dancy, E. Sosa, and M. Steup, (West Sussex: Wiley-Blackwell, 2000).
8. Conee, Earl and Richard Feldman, "Evidentialism", Philosophical Studies, 48: 1, 1985.
9. Dawkins, Richard., The Selfish Gene, Oxford: Oxford University Press, 1976.
10. Dennett, Daniel., The God Delusion, London: Bantam Press, 2006.
11. ———., Breaking the Spell: Religious as a Natural Phenomenon, New York, NY: Viking, 2006.
12. ———., "How Religion Offers an Excuse to Stop Thinking", YouTube interview, Accessed 28 December 2016, www.youtube.com/watch?v=DLpZnv8Vp-E.

13. Feldman, Richard., “The Ethics of Belief”, Philosophy and Phenomenological Research,, 60: 3, (2000).
14. Harris, Samuel., The End of Faith: Religion, Terror, and the Future of Reason, (New York, NY: W.W. Norton, 2004).
15. ———., Letter to a Christian Nation, New York, NY: Vintage, 2006.
16. Hitchens, Christopher., God Is Not Great: How Religion Poisons Everything, New York, NY: Twelve, 2007.
17. Howard-Snyder, Daniel., “Propositional Faith: What It Is and What It Is Not”, American Philosophical Quarterly, 50, (2013): 4.
18. James, William., The Will to Believe, London: Longmans, Green & Co, 1897.
19. Kelly, Thomas., “Evidence”, In The Stanford Encyclopedia of Philosophy, edited by Edward N. Zalta. https://plato.stanford.edu/entries/evidence/, 2014.
20. Kopec, Matthew and Michael Titelbaum., “The Uniqueness Thesis”, Philosophy Compass 11, (2016): 4.
21. Kvanvig, Jonathan., “Affective Theism and People of Faith”, Midwest Studies in Philosophy, 37, (2013): 1.
22. Locke, John., An Essay Concerning Human Understanding, edited by Peter H., Nidditch. Oxford: Oxford University Press, 1689.
23. McKaughan, Daniel., “Action-Centered Faith, Doubt, and Rationality”, The Journal of Philosophical Research, 41, (2016): 71-90.
24. ———., “On the Value of Faith and Faithfulness”, International Journal for Philosophy of Religion, 81, (2017): 7-29.
25. Plantinga, Alvin., Warrant and Proper Function, Oxford: Oxford University Press, 1993.
26. ———., Warrant: The Current Debate, (Oxford: Oxford University Press, 1993).
27. ———., Warranted Christian Belief, Oxford: Oxford University Press, 2000.

28. Rea, Michael., A World without Design: The Ontological Consequences of Naturalism, Oxford: Oxford University Press, 2002.
29. Schoenfi eld, Miriam., “Permission to Believe: Why Permissivism Is True and What It Tells Us about Irrelevant Influences on Belief”, Nous, 48, (2014): 2.
30. Stenger, Victor., The New Atheism: Taking a Stand for Science and Reason, Amherst, NY: Prometheus Books, 2009.
31. Taylor, James., “The New Atheists”, In The Internet Encyclopedia of Philosophy, edited by Fieser and Dowden, www.iep.utm.edu/n-atheis/, 2016.
32. Walls, Jerry, and Trent Dougherty, eds., Two Dozen (or so) Arguments for God: The Plantinga Project, Oxford: Oxford University Press, 2018.